الفجر

العدد السادس – أيلول ٢٠١٣ – شوال ١٤٣٤

طاعة ولاة الأمر

إبراهيم العلبي

التطرف

محمد عادل فارس

اختيار القائد

د. عامر منير غضبان

ولاية المتغلّب

د. أحمد سعيد حوى

الفجر

العدد السادس - أيلول ٢٠١٣ - شوال ١٤٣٤

مجلة شهرية تصدر عن
مكتب الشباب في جماعة الإخوان المسلمين
في سورية

المحتوى

3 الافتتاحية

4 حسن اختيار القائد
د. عامر منير غضبان

6 رسالة بعد تدمر وصيدنايا

8 ولاية المتغلّب
د. أحمد سعيد حوّى

10 التطرف
محمد عادل فارس

13 طاعة الولاة
إبراهيم العلبي

18 فتاوى
د. أحمد سعيد حوّى

19 علامة الشام عبد العزيز عيون السود
محمد عادل فارس

23 دعوة للقراءة: عمالقة الشمال
للروائي نجيب الكيلاني

25 وحدة
عبد الكريم اليماني

26 ريح الحرية
عمر صوان

27 فيسبوك

:: فريق التحرير

حسام غضبان	رئيس التحرير
عمار يحيى الضايع	محرر
د. عامر غضبان	محرر
أسامة السيد عمر	محرر
عبد الكريم اليماني	محرر
أسامة الشيدون	الطباعة والتوزيع
أنس حسين	الطباعة والتوزيع
منى السعيد	التسويق الإلكتروني

تعتذر إدارة تحرير الفجر عن تأخر صدور العدد السادس لأسباب فنية

تصفح الفجر
www.alfajrmg.net

تواصل مع الفجر
alfajr.mg@gmail.com

تصميم وتنفيذ
SYRIA 3D

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كتابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

الحرب بين اليأس والأمل

:: التحرير

الأمل أشرق في نفوسنا مع بزوغ شمس الثورات العربية، وظننا أن ما يفصلنا عن حريتنا طرفة عين، وإن كنا نعلم -حين نمحّص الأمر- أنه لا بد من «فترة انتقال» بين الاستعباد والحرية، وأن رواسب العبودية في نفوسنا لن تزول بغسلة واحدة في مجلى الحرية.. كنا نعلم أن الطريق طويلة، وأن المسير شاق، وأن التضحيات ما تزال في أولها.. لقد كنا نشعر قبل الثورة أن مجرد التحرك في وجه هؤلاء الحكام الطغاة هو نوع من المستحيل أو الجنون، لا يرتكبه إلا أحمق غافل عن العواقب غير مقدّر للنتائج. لكن الثورة قامت، ورأينا أن هذا «المستحيل» هو في الحقيقة «ممكن»، وأنه ما أقعدنا عنه طوال سني الاستعباد إلا جهلنا بإمكانيته.. لذلك رأينا الشعوب تهبّ في دولة إثر أخرى، تنادي بحريتها، وتطالب بالانعتاق من جلاديها.

هذا الأمل الذي حفز الناس ونهض بهم من رقدتهم سنين طويلة (بعد أن طردت تونس مجرمها)، كان السلاح الأقوى، والوصفة العجيبة التي جعلت التضحية بالغالي والثمين أمرا هينا عند طلاب الحرية. وكانت أعجب صورها وأروعها عندنا في سورية، فرأينا شهيدا يشيِّع شهيدا، وأمًّا تودّع ابنا وتجهّز آخر للمعركة، وأبا يستبشر باستشهاد أبنائه ويستشفع بهم... صور عجيبة ما كنا نحسبها إلا من نوادر الدهور، صرنا نراها متكررة يوما بعد آخر في بلادنا.

ولما كان «الأمل» سلاحنا الأقوى، كان لا بدّ أن يقاوموه بسلاح «اليأس».. وهذا ما فعلوه.

فأبدوا للثورات وجه البشاشة والرضا لكنهم أضمروا لها فؤاد الضغينة والسخط، وامتلأت الفضاءات الإعلامية والسياسية برسائل «التيئيس»، فما من مسؤول يتحدث إلا يركز على إبداء تخوفه من «تنامي نفوذ الإرهاب» في هذه الدول، ومن «التدهور الاقتصادي»، ومن «الوضع الصحي للأطفال» وغير ذلك، متناسين أن الثورات إنما قامت ابتداءً للتصدي لهذه المظاهر بعد أن عاثت فيها الأنظمة البائدة فسادا.

وكان للإعلام الدور الأهم في بث رسائل اليأس والإحباط هذه، فصرنا نشعر أننا على حافة الفناء، والهلاك يتربص بنا في كل جهة، والمصائب تأتينا من كل حدب وصوب ولا قِبل لنا بها.. رسائل وإيحاءات من اليأس والقنوط تجعل المرء مرتهنا للصورة السوداء التي يرسمونها، مقيّدا بالعجز والخور، مستلبا أي أمل بالغد المشرق.

وقد أثّر ذلك في بعض الناس، فأصابهم الوهن، وأقعدهم العجز، ودرجت على ألسنتهم عبارات الإحباط والأسى والتشاؤم، بل إن بعضهم «ندموا» على الثورة، وتمنوا العودة إلى «أمان» العبودية.. هؤلاء تمكن الأعداء منهم، وأصابهم سلاحهم «اليأس» بمقتل!

إنها الحرب بين اليأس والأمل، وما دمت على الحق فإن الأمل هو سلاحك، فلا يهزمنك الباطل فتيأس والله تعالى قد بشرنا فقال: «فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين» [الروم: ٤٧]، ثم أوصانا سبحانه بعد بضع آيات بالصبر الذي هو عماد الأمل، فقال: «فاصبرْ إنَّ وعد الله حق، ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون» [الروم: ٦٠].

حسن اختيار القائد

:: نظرات في قصة طالوت ::

:: د. عامر منير غضبان

الآية التي ذكر فيها كيف تم اختيار القائد في قصة طالوت هي قوله تعالى:
(وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم)

كان اختيار القائد في هذه القصة من خلال العلم النبوي الذي بلغه النبي عليه السلام للمجتمع، فعلم الناس أن هذا القائد اختاره الله تعالى، وبعد المجادلة في حكمة الاختيار أقر المجتمع لطالوت بالملك، وقاد طالوت هذا المجتمع للنصر بالقصة التي نعرفها.

ونحن في عصر ختمت فيه النبوات، ويبقى علينا الاجتهاد في التعرف إلى القائد الصالح واختياره والالتزام معه، وسنحاول في هذا المقال التعرف إلى بعض المعالم الأساسية في هذه العملية.

1 المجتمع في قصة طالوت كان مجتمعا مهدداً، والتحديات التي مر بها أشعرته بحاجته لتغيير واقعه والنصر على ضعفه الداخلي وعدوه الخارجي. لكن هذا الشعور الجمعي لم يكن لوحده كافياً لتشخيص مشكلات المجتمع، ولم يكن المجتمع بتلك المرحلة قد غير في قيمه ومعاييره التغير الكافي ليتمكن من اختيار القائد المناسب، فظهرت التساؤلات التي عبرت عن الاستغراب من هذا الاختيار.
وفي كثير من الأحيان يفشل المجتمع في اختيار قائده وتحقيقه نهضته لأنه لم يبحث في ضوء المشعل المناسب، ولم يضع الصفات الملائمة للواقع والمرحلة.

2 النصر الذي تحقق لقوم طالوت لم يكن فقط بقدرات القائد المتميزة، إنما بالالتزام من قبل المجتمع، أو الفئة الثابتة منه، وهذا يشير إلى أنه قد يظهر قادة مؤهلون، لا ينالون الإقرار والإجماع والالتزام من أقوامهم، فلا يكمل القائد تجربته ولا يحقق النصر في معركته.
ولعل هذا يؤيد النظرية التي تعتبر العلاقة

السليمة بين المجتمع والقائد علاقة تعاقدية، والنهضة المنشودة في المجتمع تتم بالوفاء بالتعاقد بين مجتمع أحسن اختيار قائده، وقائد ناصح لأمته، صادق في إرادة إصلاحها ونصرها.

3 عندما يلاحظ المجتمع ضعف قدراته في مواجهة التحديات، أو عندما يكتشف خطأ اختياره للقائد، يصبح عليه مراجعة تجربته ومحاولة التوصل للنظام القيمي الملائم، أو تفعيل القيم من خلال آليات عملية ملائمة، فالخطأ قد يكون بسبب غياب القيم المناسبة للمجتمع وواقعه، أو غياب الآليات العملية التي تختبر فيها هذه القيم على أرض الواقع.

4 الصفات التي يجب أن نبحث عنها في القائد كثيرة، وتختلف من حالة لأخرى، لكن الآية ذكرت عن طالوت أن الله اصطفاه في (العلم والجسم)، وأحسب أن هذا يدلنا أن صفات القائد الصالح مهما كثرت واختلفت لا بد أن تلحق بإحدى فتئين، هما «المعرفة» و«القوة»، ويشير إلى هذا أيضا قول يوسف عليه السلام حين رشح نفسه ليكون على خزائن الأرض (إني حفيظ عليم).

ختاماً، ومجتمعنا يعيش تجارب إفراز قادته وزعمائه في ظل تراجع تأثير الدولة المستبدة الشمولية، تظهر أمامنا مشكلة القيادة مشكلة جوهرية، يحتاج مجتمعنا أن يتخلص فيها من نموذج «القائد الخارق الملهم»، كما يحتاج أن يتجنب الوقوع في فخ القبول بقائد جاهل أو عاجز (عديم المعرفة، أو ضعيف القوة)، ليقطع معه هذه المرحلة فقط، على اعتبار أنها مرحلة مؤقتة، فنحن في هذه المرحلة نعيد فهم أنفسنا، وبناء ثقافتنا، وتشكيل واقعنا، ونصنع تاريخنا. والله هو الموفق، وما النصر إلا من عند الله.

رسالة .. بعد تدمر و صيدنايا

رسالة تلقاها أحد الإخوة من أخ كان قد اعتقل في سجن تدمر عام 1980 وبقي فيه حتى إغلاقه عام 2000، ثم نقل إلى سجن صيدنايا، وأفرج عنه في أواخر كانون الثاني من عام 2004.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أيها الصديق الحبيب.. الأخ القريب البعيد

كتبت لك مرة.. آخر مرة، فقلتُ «لعل اللّه يجمعنا - كهلين - حول مائدة يعبث بغطائها نسيم لطيف، نرتشف القهوة ونتبادل الأفكار..»، اليوم صار هذا أملا مرتقبا يتوهج في نفسي فأُعِدُّ له أوراقا تعددت فيها المواضيع، اختلط فيها الفكر بالعاطفة، الثورة بالحكمة، التجديد بالأصالة، لعل اللّه الذي مَنّ فأبقاني أحيا ثم أخرجني.. لعل ربي أن يجمعنا، ليس هذا حلما بل هو أملي من صاحب الرجا والعطا.

سعدتُ برسالتك كثيرا، لأنها ابتداء منك ولأنها تحمل الوداد الذي لا أشك أنه حقيقي، في زمن عزّ فيه الوداد.. سعدت برسالتك، وخجلت، فأنت تحسن الظن بي إلى درجة تجعلني أشك في فراستك وتقييمك، اسأل اللّه تعالى أن يجعلني خيرا مما تظن بي، وأن يخلصني مما لا تعلم عني .

صحتي جيدة.. الحمد للّه جيد في بدني وعقلي ونفسي، وأرجو اللّه من فضله.

كانت الرحلة شاقة، شاقة كثيرا، لكنها عندي أزكى ساعاتي، وأنفع أيامي، وأغزر سني حياتي. حتى العشرين من عمرها كنت أقسم: إني لا أتمنى أن اللّه لم يجعلها في قدري، وبعد العشرين أصبحت أرجو سعة اللّه إذ ضاقت الكتب المتوفرة لدينا -على تعددها- عن أن تتسع لتساؤلاتي ومشكلاتي مع فكري، ومنذ سنتين حتى اليوم تضيق عليَّ نفسي إذ لا أجد أخا أتدارس معه بتجرد وجرأة وإخلاص تراثا لا بد من الوقوف عنده بحسم لتحديد الأبيض من الأسود، وتمييز الثابت والمتحول فيه.

تقلبت من المذهبية إلى السلفية فالمالكية ثم الشاطبية وربما الرشدية... دون أن التزمها جميعا، لم يكن في تدمر إلا كتاب الله، وكنت أعيَّر إلى درجة التهجم (بالتدبر في القرآن الكريم) ولكني أتلمس الآن حكمة الله في تقديره إذ ألزمني كتابه فحسب، بحيث صار عندي ميزانا لكل ما دونه، من هنا أصبحت آيات السُنن تستوقفنا كثيرا، فأضاءت لنا أنوارا في تقييم ماضينا وإصلاح حاضرنا وتحديد خطوط مستقبلنا.

لم أكن طوال هذه الفترة صابرا، بل راضيا، جازما أن الخير فيما اختاره الله لي، لم أفكر قط في مسؤولية الغير –أي غير– عمّا أصابني، بل فكرت في مسؤوليتي، في تقصيري في جنب ربي، في غفلتي، في ذنبي.

أن يعايش المرء أسماء الله الحسنى، ويلاحظ تجلياتها في الأحداث اليومية، ملاحظة تجعله يجيد قراءة أقداره فيصبح بينه وبين ربه لغة تفاهم، وميزان إحساس بغضبه ورضاه، وما يتبع ذلك من مناجاة واعتذار ورجاء.. إن هذا لكسب يعدل كل المعاناة بل ويرجح عليها رجوحا ظاهرا.

كانت الرحلة زاخرة برجالٍ وصورٍ منيرة، ومليئة برجالٍ وصورٍ مظلمة، وهذا الغنى والتعدد في الأبيض والأسود لا يعطي المرء واقعية في النظرة إلى الحاضر بل هو الأهمُ واقعية في تقييم رجالات وأحداث الماضي.. واقعية في تقييم التراث، ويساعد في تحديد أسباب صراعاتنا وتخلفنا، وامتناع سنن الله في التولي والنصرة لنا.. بل للمسلمين جميعا.

الحديث عن أمراضنا مؤلم، والتحقيق في تقصيرنا قاتل، وأترفع عن الحديث عن المتاجرات والصفقات في القضية.

أخي الحبيب، كما قلتَ: الحكايات لا تنتهي.. أسأل الله أن يوفقنا لحكايتها، فإن هذه الحكايات ضرورة بل مسؤولية أمام الله وأمام التاريخ وأمام من ضحى أو تضرر. حكايات لا بد أن نحكيها قبل أن نضمد الجراح –جراح العزيمة– وأن نوقد شعلة المسيرة.

لست – والله – آسفاً على شيء، إلا وقتاً ضاع مني أو عملَ خيرٍ لم أعمله. قضيتي أمرُ ربي، وإخواني بعض من هذه.

سررتُ –ولا يستوقفك قلقي– أني أميل إلى أن أتصورك كما أحب أن أتصور من أحب.

ولاية المتغلّب

:: د. أحمد حوّى
من تغريدات الدكتور على تويتر
@ahmadhawwa

›› ولاية المتغلب هي الولاية التي يكتسبها صاحب قوة ولو خرج على الولي الشرعي، ثم تستتب له الأمور ويسيطر على مقاليد الحكم في البلاد.

›› فهل تعتبر ولاية المتغلب طريقا شرعيا صحيحا لاكتساب الولاية؟ وما حقيقة ما ينسب إلى الفقهاء القدامى من ذلك؟ وما هي الخلفية التاريخية لذلك؟

›› أنبه أولاً أن ما سأذكره في هذه المسألة هو اختيار لبعض المحققين من أهل العلم، وأنا أتبناه، وأقدّر أن هناك أقوالا أخرى لكنها اجتهاد لا يلزمنا.

›› الراجح لدينا بعد البحث والدراسة أن الطريق الشرعي الصحيح الوحيد في الأحوال العادية لاكتساب الولاية في أمة الاسلام هو: «اختيار أهل الحل والعقد».

›› وهذا يعني أن ما قرره بعض الفقهاء من طرق للولاية إنما قالوا به في ظروف استثنائية أو اضطرارية، وليس في أحوال عادية.

›› وللتوضيح: فإنه لم يثبت نص واحد على مشروعية ولاية العهد، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا، وترك الأمر لأهل الحل والعقد فاختاروا أبا بكر.

›› وأبو بكر رضي الله عنه لم يولِّ عمر على الحقيقة، وإنما رشّحه، ولم يلزم الناس ببيعته في حياته، وإنما بايعه أهل الحل والعقد بملء إرادتهم بعد وفاته.

›› وأما إقرار بعض الصحابة والتابعين لولاية العهد في زمان معاوية إنما هو اجتهاد استثنائي تحكمه ظروف استثنائية قدروها هم، ويتحملون هم فقط تبعتها.

›› ربما خشي بعض الصحابة والتابعين عودة الفتنة والاقتتال بين الناس، فأقروا بولاية العهد دَرءًا لمفسدة أكبر كانوا يتوقعونها ويخشونها.

›› والذي ينبغي أن يعلم أن الفقه الاستثنائي لا ينبغي بحال من الأحوال أن يصبح فقها أصليا أو حكما عاما مطردا، بحيث يصبح الأصل استثناءً أو شذوذا.

›› لم يعد مقبولا أن تحكم الأمة بفقه استثنائي ومسألة استثنائية طيلة ثلاثة عشر قرنا، وتمنع الأمة من الرجوع إلى قرار أهل الحل والعقد.

›› وما قيل في ولاية العهد يقال في ولاية المتغلّب، إذ ليس هناك نص من كتاب أو سنة يسندها، إنما هي الموازنات المبنية على تقدير المفاسد واختيار أخفها.

›› ولا يُعقل أن نبقى نقول بإقرار ولاية المتغلب دفعا للمفسدة طيلة ثلاثة عشر قرنا أيضا، بل يجب الرجوع إلى قرار أهل الحل والعقد في الأمة.

›› ثم يجب التنبه إلى أمر أهم وأخطر، وهو أن علماءنا قالوا بولاية المتغلب الذي يحكُم بشرع الله تعالى وليس الذي يأتينا بأنظمة علمانية تحارب الدين.

›› وأضيف أن المرحلة التي حكمت فيها الأمة بولاية العهد أو بولاية المتغلب هي هي المرحلة التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم «الملك العضوض».

›› وجاءت مرحلة الملك العضوض بعد مرحلة الخلافة الراشدة التي شهد لها أنها على منهاج النبوة، فلا شك إذن أن الملك العضوض نقصٌ أو نزولٌ عن تلك الرتبة.

›› ونستطيع أن نقول إن مرحلة الملك العضوض انتهت بإسقاط الخلافة العثمانية، لتدخل الأمة في مرحلة هي أخطر وأشد وأسوأ، هي «الملك الجبري».

›› ولمن لم يدرك الفارق بين المرحلتين نقول إن الشريعة كانت هي مرجعية الأمة في مرحلة «الملك العضوض» على ما كان فيه من نقص أو ظلم.

›› فلما دخلنا في مرحلة «الملك الجبري» أقصيت الشريعة وحورب الدين وأهله، وأصبحنا نحكم بأنظمة وضعية صنعها المحتلون الصليبيون لبلادنا في القرن الماضي.

›› وبناء عليه فإن كل ما قاله بعض الفقهاء عن الرضا بولاية المتغلب لا محل له في واقعنا، وإنما الواجب الشرعي هو الوقوف في وجه الظلمة وتحكيم الشريعة.

›› فإن أمكن الوقوف بوجه الظلمة بالطرق السلمية فليكن، وإلا فيجب اتخاذ الوسائل اللازمة لإعادة الأمور إلى نصابها، مع تقدير الظروف والإمكانات.

›› والظروف والإمكانات إنما يُرجَع في تقديرها إلى العلماء الثقات الربانيين الذين شهدت لهم الأمة وسلّمت لهم، وليس علماء السلاطين الذين اقتاتوا على السحت.

التطرف

:: محمد عادل فارس

من التهم العصرية التي روّجها أعداء الإسلام ضد دعاته: التطرف والإرهاب والأصولية، فضلاً عن تُهم روّجوها من قبل، كالرجعية والتعصّب والتحجّر والتزمت..

وإذا كان مرور الزمن كفيلاً بكشف الخداع والتلاعب بالألفاظ.. فإن أولئك الأعداء يُتقنون صناعة الهمز واللمز والدعاية الكاذبة... فإلى أن تنكشف خدعة يكونون قد صنعوا سلسلة من الخداعات، وليس يضيرهم كثيراً أن يفتضحوا في كذبة أو خدعة، فكما حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن ممّا أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت» رواه الأئمة أحمد والبخاري وأبو داود وابن ماجه.

ونقف الآن أمام واحدة من تلك التهم، تهمة التطرف. ففي ظل غلبة لون معين من الثقافة، ورغبة أربابه بإلغاء الثقافات الأخرى، وجعلِ مختلف الشعوب تبعاً لثقافة الغالبين، ومحاولة إعادة صياغة العقول والأخلاق والقيم والمصطلحات.. بما ينسجم مع تلك الثقافة... صار مقياس الاعتدال والحق والصواب هو المقاربة مع الثقافة التي تحميها الأسلحة والمال والكمبيوتر والإعلام، بل صار مقياس الرقي في الحياة الشخصية هو النموذج الذي تفرضه تلك الثقافة، فطرائق الطعام والشراب واللباس والاستقبال والضيافة والحديث... تكون أرقى كلما تقمّصتْ شخصية تلك الثقافة!.

ولا غرو بعد هذا أن يكون الإسلام الذي أنزله الله عز وجل ديناً بعيداً عن الاعتدال في ظل هذه المفاهيم. وحتى يُصبح هذا الدين معتدلاً مقبولاً عند «هؤلاء» فلابد من إدخال التعديلات تلو التعديلات على أحكامه وآدابه وقيمه حتى يُصبح ديناً بالصورة التي تُرضي «الخواجات». أما الذين يصرّون على فهْم الإسلام، كما أنزله الله تعالى في كتابه، وكما بيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه وسيرته، فهم المتطرفون!!

ومن أولويات ما أرادوا تحريفه في الدين القويم، هو الجهاد، فمرّة يقولون: إن الإسلام انتشر بالسيف!. وينهض بعض المسلمين ليقولوا: بل الإسلام لا يُقرّ استخدام السيف إلا في حال الدفاع عن أرض الإسلام أمام خطر هجوم مباشر.

ومرة يقولون: الإسلام دين السلام، وهو لا يقبل باستخدام القوة، وما حصل في صدر الإسلام من حروب إنما كان لاعتبارات طارئة، وأما اليوم وقد انتشرت المطابع والإنترنت وصار تبليغ الإسلام متاحاً فقد انتفت شرعية الجهاد ابتداء.

ثم يقولون: الإسلام دين يُعنى بطهارة القلب ونظافة الضمير، وبإمكان المسلم – إن أراد – أن يمارس شعائر الصلاة والصيام والزكاة والحج... أما شؤون الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع فلا شأن للدين فيها، وللناس أن يختاروا في كل مسألة، أو في كل ميدان من ميادين الحياة، ما يرونه مناسباً لحياتهم... وهو ما يعبّرون عنه بفصل الدين عن الدولة، وبالإسلام العلماني! وبأن الدين لله والوطن للجميع.

ثم يرون أن تعليم الدين، ولو في الحد الأدنى الذي تسمح به الأنظمة القائمة، بما فيه من تعليم تلاوة القرآن الكريم وحفظه، وتعليم أحكام الطهارة والصلاة، وشيء من السيرة النبوية والحديث الشريف... هذا التعليم يُشكّل خطراً على «الحضارة العالميّة»!. لماذا؟ لأن الذين يدْرسون هذه الدراسات تتشكّل عقولهم على نحو يَعُدُّون الإسلام في مكانة القداسة والتكريم، ومرجعاً يرجعون إليه فيما شجر بينهم!!.

وإذاً، لابد من إلغاء الجهاد، ثم لابد من إلغاء فكرة أن الإسلام دين للحياة، ثم لابد من إلغاء الدين أصلاً.

وبعد هذا كلّه يصبح المتطرف عندهم من لا يرضى أن ينحصر في تلك القوالب أو أن يفكّر بالطريقة التي يريدون.

على أن من العدل أن نقرر أن في المسلمين متطرفين فعلاً، كما هو بين أبناء الديانات والمذاهب والشعوب الأخرى. وهذا يقتضي أن نتفق على معنى التطرف. فالتطرف هو اتخاذ الموقف في الطرف، أي بعيداً عن التوسط والاعتدال. والتوسط والاعتدال في الإسلام هو ما يُفهم من نصوص الكتاب والسُنّة بعيداً عن التأثر بالأفكار الوافدة، وبعيداً عن ردود الأفعال تجاه أي مذهب أو نظرية. وأهم ما يُترجِم التوسط هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته الشريفة، ثم ما سار عليه أصحابه والتابعون، وما رضيه جمهور علماء الأمة عبر التاريخ.

وعلى هذا يمكن أن نميّز ألواناً من المتطرفين:

فالذين يعملون على ليّ أعناق النصوص لتوافق أهواء الغربيين، وتَظهرَ على نحو يُرضي الثقافة الغربية... هم متطرفون، وإن كانوا أبعد الأصناف عن أن يوصفوا بالتطرف، وفق ما يروّجه الغربيون ومن سار في فلكهم، من مفهوم التطرف، فهؤلاء عندهم هم المعتدلون!.

والذين يَغْلون في الدين فيصفون العُصاة والمذنبين بالكفر، ولا يفرّقون بين من يرتكب صغيرة أو كبيرة، وبين من يخرج عن الملّة، فيدمغون الجميع بالكفر... هؤلاء متطرفون.

والذين يتساهلون في إراقة الدماء وقتل الأنفس من غير بيّنة شرعية، وفتوى من أهلها، إنما يقتلون على الشبهة... هؤلاء متطرفون.

والذين لا يفرّقون بين وصف المجتمع بأنه جاهلي، بمعنى أنه يحكمه نظام لا يدين بالإسلام، وبين الحكم على أفراد هذا المجتمع، فيظنون أنهم

كفار. ولا يفرّقون بين من وُجِد فيه وصفٌ من أوصاف الجاهلية، وبين من يرفض الإسلام ديناً للحياة، أو يرفض الاحتكام إلى دين الله، أو يكفر بالله ويؤمن بالطاغوت... نقول: إن هؤلاء الغُلاة متطرفون!.

والذين يُسطّحون الأمور تسطيحاً ساذجاً (أو خبيثاً) فيقولون: لا ينبغي أن تتكلموا في الحلال والحرام فتُعقّدوا الناس. دعوا الناس يتصرفون كما يشاؤون... وكذا الذين يُضيّقون على الناس حتى لا يتركوا أمامهم فرصة ليتحركوا أو يتنفسوا، بحجة أن كل تصرف يكاد يكون حراماً... هؤلاء وهؤلاء متطرفون. ورحم الله الإمام سفيان الثوري حين قال: «التشدد كل الناس تُحْسنه، ولكن العلم رخصة من عالم». فلا التشدد مطلوب في الإسلام، ولا الترخّص الذي يعني التفلّت والتسيّب... إنما هو اجتهاد العالم التقيّ البصير.

والذين يأخذون نصّاً مفرداً – آية كريمة أو حديثاً شريفاً – ويبنون عليه أحكاماً، من غير أن ينظروا إلى سياق هذا النص، وأن يجمعوا بينه وبين النصوص الأخرى المتعلقة بموضوعه، وأن يطّلعوا على اجتهادات أهل العلم في الجمع بين النصوص (التي تُبين وتوضّح وتُفصّل...) هؤلاء كذلك قد يكونون من المتطرفين، لا سيما إذا كان أحدهم قد تبنّى الرأي مسبقاً ثم جاء يوجّه النص ليوافق رأيه!.

وخلاصة الأمر: إذا كان التطرف سيئة، فإن الاعتدال هو الحسنة.

يُمكن أن نذكر بعد ذلك ونؤكد أن التطرف في أي اتجاه يكون محرّضاً على تطرف في اتجاه مقابل، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات أو الدول.

فحين يتعلق الناس – في بيئة أو عصر – بالخرافات والأساطير، تقوم ردّة فعل باتجاه إنكار المغيبات.

وحين تنتشر البدع في الاعتقاد أو السلوك، تنمو فكرة الغلو في محاربة البدع حتى يدخل في المحاربة ما ليس بدعة...

وحين يستبدّ حزب أو فئة أو فرد بالسلطة يحدث انفجار لا يُبقي ولا يَذَر.

وحين يعمّ الترف والإغراق في الكماليات ينشط التوجّه نحو الزهد.

وحين تريد دولة أن تفرض سلطانها وثقافتها على العالم كله وتُلغي عقائد الآخرين وتمحو ثقافاتهم يتولّد الكره والحقد على تلك الدولة.

وليس علاج التطرف هو التطرف المضاد، إنما علاج التطرف الاعتدال. فإذا كان للتطرف المضاد فائدة فإنما هي في فضح التطرّف الأول وإثارة الاشمئزاز منه حتى يتولد الاعتدال. وما أعظم الإسلام الذي جعل أمّة الإسلام «أمة وسطاً» وأمر بالعدل والقسط، وأقام ميزان الحق بين الناس [اعْدلوا هو أقرب للتقوى] (المائدة: ٨). [وكذلك جعلناكم أمة وسطاً] (البقرة: ١٤٣) ولنقرأ قول الله تبارك وتعالى ففيه الحق والنصح والسداد:

[يأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يَجْرِمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا. اعدلوا هو أقربُ للتقوى. واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون] (المائدة: ٨).

طاعة الولاة

تكريس للاستبداد السياسي أم تعزيز لاستقرار الدولة؟

:: إبراهيم العلبي

ليست الدولة في حقيقتها، ووفقاً للأسس التي ينبغي أن تبنى عليها، إلا عبارة عن عقد اجتماعي بين أفراد جماعة بشرية تربطهم مجموعة من الروابط المشتركة، يفوضون بمقتضى العقد أو المبايعة من يحكمهم باختيارهم، معتمداً على معتقداتهم، وتفصيل ذلك في بحث نشأة الدولة ودراسة النظريات المطروحة في تحديد هذه النشأة وتفسير تطورها، وما نريد بيانه هنا هو أن الدولة تمثل الكيان السياسي الذي ينبثق في خصائصه وميزاته عن الكيان الاجتماعي في روابطه وقيمه، وكلا الكيانين يشكلان مفهوم الجماعة كما كانت تسمى قديماً، وكما تسمى حديثاً في علم الاجتماع.

فإذا كان الكيان السياسي يستمد مشروعيته من المجتمع المنبثق عنه فهو ما نصفه بالدولة القائمة على التعاقد بين الحاكم والمحكوم، تعاقد يفوض الحاكم صلاحيات التشريع لما يصلح حال المحكومين في شؤونهم العامة، وهذا ما يعرف بالتقنين، أي سن القوانين، على أن ينطلق من معتقدات المحكومين وفلسفتهم الجمعية، وذلك لكي يصح التكليف بحق الأفراد ويترتب على ذلك مشروعية محاسبة المكلف.

ومن شأن الدولة أن تتطور أدواتها ووسائلها في تنفيذ ما تسنه من قوانين، وقد بدا ذلك التطور واضحاً في ظهور شكل تنظيمي جديد للدول في شتى أنحاء العالم، وهو ما يسمى بالوزارة، وهي الجهاز الإداري الذي ينفذ القوانين ويحميها، وتتفرع عنها مجموعة وزارات تحمل كل منها على عاتقها تنظيم وإدارة مهمة من مهام الدولة، حتى بات أصغر موظف في أقل الوزارات أهمية يمثل الدولة في واجباتها ومسؤولياتها بحسب ما تنيط به وتكلفه مما يتعلق بتنفيذ القانون.

إذا كان ذلك يمهد الطريق لمشروعية «التكليف» كما يسميه أهل القانون، في شتى الدول، على اختلاف عقائدها وموروثاتها الاجتماعية وأديانها، بما يتضمنه من التزام تترتب عليه آثار كثيرة، فإن شذوذ الدول قديماً وحديثاً عن هذه القاعدة وتعظيم مبدأ الطاعة الملازم للتكليف حد التقديس أحياناً يعود في حقيقته إلى جملة أسباب؛ لعل من أبرزها تمسك السلطان بسلطانه، وسعيه لحماية وتوسيع نفوذه، ما يقوده دوماً إلى حالة الاستبداد أو الملك الطبيعي،

حيث يكون الملك هو الدستور «المتعاقد عليه» جبراً، وتعليماته الشخصية القانون المتبع، وإن لبس الملك ثوب الرئيس مؤخراً وأضفى على ملكه صبغة الجماهيرية .. وأدى هذا النمط من الحكم في نهاية المطاف، وفي معظم الحالات، إلى ثورات متفاوتة القوة والتأثير لكنها غيرت وجه الدولة وأسهمت في تأسيس عقد جديد وفق صيغة جديدة.

فإذا انتقلنا إلى الحديث حول ما تقرر في الفقه السياسي في الإسلام في إطار مبدأ التكليف وعلاقته بطاعة ولي الأمر فإن التساؤلات الجديرة بالإجابة هي: ما حقيقة طاعة ولي الأمر في الإسلام؟ ومن هو ولي الأمر؟ وهل تصل الطاعة الواجبة له حد السكوت على ظلمه على مبدأ «اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» ؟

في نظرة عامة يمكن لنا أن نفهم جميع النصوص التي جاءت في حث المسلمين على طاعة ولي الأمر في إطار التكليف المبني على التعاقد، كقوله تعالى: (وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم) على أن تفسير «أولي الأمر» غير مقتصر على الحكام بل يشمل العلماء وذوي الاختصاص، كما جاء في تفسير ابن عباس رضي الله عنه، ما يوحي بأن الطاعة المطلوبة مقيدة بحدود ما هو من صلاحيات واختصاص كل صنف من أصناف أولي الأمر. ويؤيد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) فالطاعة مقيدة لا مطلقة.

وفي التفصيل نجد أن التحذير النبوي من مفارقة الجماعة والخروج عليها جاء مغلظاً في حالة الخروج المسلح على الإمام المنعقدة بيعته شرعاً، فعن ابن عمر رضي الله عنه في الحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا)، وشمل التحذير النبوي كذلك نكث العهد والعقد المبرم بين الحكام والمحكومين، اتباعاً للهوى وبدافع التعصب الجاهلي والفئوي بشتى أنواعه مع ما يرافق ذلك من استحلال للدماء البريئة، فقال عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات: مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية: يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل، فقتلةً جاهليةً، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدها فليس مني ولست منه)، ومن أبشع هذه العصبات تلك العنصرية المستندة إلى اللون أوالعرق فخصها الحديث النبوي بالذكر، فقال صلى الله عليه وسلم: (اسْمَعُوا وأَطِيعُوا، وَإِنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كأنَّ رأْسَهُ زَبِيبةٌ) ولا يخفى مافي كلمة «استعمل» الفعل المبني للمجهول من معنى دقيق يؤكد بأن الحاكم أياً كان منصبه ما هو إلا عامل، لم يتول بنفسه وإنما وُلي بإرادة مشروعة مهاماً تتعلق بعامة الناس.

كما حث الهدي النبوي على الصبر على الحكام إذا ما أظهروا أثرة أو ميلاً عن جادة العدل محذراً من المسارعة إلى الخروج عليهم وإسقاط العقد الذي أبرم معهم، مهما كانت وجاهة الأسباب إذا كان بالإمكان احتمالها، ما لم تضر بصيغة العقد الاجتماعي بصورة جوهرية، وقد بين عليه الصلاة والسلام ذلك فيما رواه أحمد: (أيما رجل كره من أميره أمراً فليصبر، فإنه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية) وفي كلمة السلطان ما فيها من

الإشارة إلى سلطة الدولة، وفي اللغة لا يقال فلان خرج من الأمير، بل خرج عليه، ويتضح المعنى المشار إليه برواية أخرى للحديث نفسه أخرجها بالإضافة إلى أحمد كل من البخاري ومسلم، جاء فيها: (ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية) والجماعة هي الكيان الاجتماعي الذي انبثق عنه الكيان السياسي كما بينته في مقدمة المقال.

وينبغي هنا التشديد على أن الحث على الصبر الذي يمنع صاحبه من نقض العهد ليس حثاً على السكوت على الظلم وطاعة الظالم في ظلمه أو معصيته، ولا أوضح في بيان هذا التمييز من قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح عن أم سلمة:

(إنه سيكون عليكم أئمة تعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضى وتابع، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نُقَاتِلُهُمْ ؟ قَالَ: لَا مَا صَلَّوْا)

ومن ثم فإن هذا الصبر محدود بسقف معين وليس على إطلاقه، فهو مشروط بشرطين اثنين:

الأول: عدم الإخلال بالعقد المبرم بين الحاكم والمحكومين، وفي هذا قال صلى الله عليه وسلم: (خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وشِرَارُ أَئِمَّتِكُم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ)، قَالَ : قُلْنَا : يَا رسول اللهِ ، أَفَلَا نُنَابِذُهُم بالسيف؟ قَالَ : (لَا، مَا أَقَامُوا فِيْكُمُ الصَّلَاةَ. وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَة) فقوله «لا ما أقاموا فيكم الصلاة» يؤخذ منه بأن منابذة هؤلاء الحكام بالسيف – بغرض عزلهم – مباح إذا منعوا الصلاة، بل ربما كان واجباً في بعض المواضع، أما حكمة تعليق الصبر على مدى التزام السلطان بأحكام الشرع الظاهرة لا سيما إقامة الصلاة فتتمثل في رمزية الصلاة وشعائريتها، وارتباطها الوثيق بمنظومة القيم والأخلاق والأحكام الكبرى في الإسلام، فمهما انحرف السلطان في سلطته فهو أهل للتصحيح والتصويب ما دام يظهر تقيده بالشريعة، إذ لا مفر له وهو متقيد بها، ظاهرياً على الأقل، من التزام العدل إذا توفر له من يزجره من عامة المسلمين وخاصتهم ولم تقابله الرعية بالتزلف والمديح وإخفاء العيوب، فإنما الدين النصيحة كما قال صلى الله عليه وسلم، وذكر «أئمة المسلمين» فيمن تجب لهم النصيحة التي جعلها عين الدين في مختلف مناحيه، كما أن «إقامة» الصلاة وليس مجرد أداء الصلاة تعبر عن اجتماع المسلمين في المقام الأول، وفي التزام السلطان بإقامتها استناد إلى هذا الاجتماع، والتزام أيضاً بما اجتمعت عليه الجماعة، وبهذا المعنى يتضح بأن الحث على الصبر على انحراف السطان عن جادة العدل ليس من باب الإقرار بظلمه أو إعلاء شأنه إلى درجة اعتباره نائباً عن دين الله كما توهم البعض، بل من باب وضع معيار واضح بالإمكان تتبعه والقياس به والمفاصلة عنده، إذ يمكن من خلاله قياس مدى تغول سلطة الحاكم وفشو ظلمه وإسقاطه للمشروعية التي وصل إلى سدة الحكم على أساسها.

الثاني: أن لا يستشري ظلمه بما ينسف جوهر فكرة الدولة من أساسها، لأن الدولة التي يبلغ ظلم حكامها حد استعباد الناس وإسقاط كرامتهم الإنسانية تستحيل ضرراً يضاهي ضرر عدمها، وهذا الضرر سيكون عقوبة يعاقب الناس بها أنفسهم إذا تهاونوا في السكوت

على الظلم واستمرؤوا سياط الظالم، قال صلى الله عليه وسلم: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)، ونحن هنا نتكلم عن الظلم لا عن الفسق الذي قد يقع من الحاكم، إذ بالإمكان احتماله، بخلاف الظلم والاستعباد والإخلال بالعقد الذي لن يؤدي إلا إلى الثورة بتوفر أسبابها عاجلاً أم آجلاً.

لا بد لنا ونحن نستعرض النصوص الشرعية المتعلقة بطاعة الولاة من الحديث عن النص الذي وردت فيه العبارة الشهيرة (وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)، إذ بعد دراسة الحديث المروي في صحيح مسلم يتبين التالي:

روى الحديث عن الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان كل من أبي إدريس الخولاني وأبي سلام، أما رواية الخولاني فقد خلت من هذه الإضافة تماماً وهذا نصها:

(كان النَّاس يسأَلون رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يُدركني، فقلت: يا رسول اللَّه إنا كنا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شرّ؟ قَال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قَال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قَال: قَوم يستنُّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، فقلت: هل بعد ذلك الْخير من شَرّ؟ قَال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أَجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول اللَّه صِفهم لنا قال: نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول اللَّه فما ترى إن أدركني ذلك؟ قَال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قَال: فاعتزِلْ تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ على أصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك)

وأما رواية أبي سلام التي انفردت بزيادة «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» فهي لا تصح لأن في سندها انقطاعاً، وإن جاءت في صحيح مسلم، فالمعروف عن مسلم أنه يأتي بالصحيح من الحديث ما كان على شرطه في صدر الباب ثم يتبعه بالشواهد والمتابعات مما قد لا يصح بنفسه لكنه يصلح في باب الاعتبار والاستقصاء، ومنهج مسلم هذا في تقديم الأصول ثم إتباعها بالشواهد والمتابعات مما هو دون الأصول في الصحة معلوم لدى علماء الحديث مشروح في كتبهم.

وقد علق النووي على هذه الرواية في شرح مسلم بالقول: «قال الدارقطني: هذا عندي مرسل (منقطع) لأن أبا سلام لم يسمع حذيفة. وهو كما قال الدارقطني، لكن المتن صحيح متصل بالطريق الأول – طريق الخولاني – وإنما أتى مسلم بهذا متابعة كما ترى» انتهى كلام النووي. وهكذا أكد النووي ضعف السند بناء على ما قاله الدارقطني، ولكنه صحح المتن دون الخوض في الزيادة موضع البحث وذلك نظراً لتقارب المتنين، ويؤكد عدم التفاته إلى مضمون هذه الزيادة أو اعتباره لها ما عنون به الباب الذي أورد مسلم فيه هذا الحديث، فكان عنوانه: «بَاب وُجُوبِ مُلَازَمَةِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَفِي كُلِّ حَالٍ وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ عَلَى الطَّاعَةِ وَمُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ) فاستنبط النووي من الحديث ضرورة التزام الجماعة وحرمة الخروج على الطاعة، وذلك من باب الحفاظ على الجماعة والإعلاء من شأن ما تعاقدت عليه مع حكامها، لا من باب تمكين المستبد وتقديس ملكه،

ويزيد هذا المعنى تأكيداً ما علق الطبري به على هذا الحديث بروايتيه قائلاً: «والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة»

على أنه فيما لو ثبتت هذه الزيادة فإن معناها لا يعدو المبالغة في التأكيد على أن الجماعة أولى في الاتباع من الفرق المختلفة في أوقات الفتن الكبرى، والمبالغة تفيد المجاز لا الحقيقة، وهي من أساليب البيان المعروفة والمستعملة في غير نص من النصوص الشرعية، ومما يدعو إلى حملها هنا على المجاز هو تعارض حقيقتها بنصوص أخرى في مقدمتها الحديث المشهور: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» فإن لم يكن الظلم معصية، ورده عن النفس والأهل عبادة، والموت دون ذلك شهادة فماذا يكون إذاً ؟

وكتلخيص لما سبق؛ نقول:

إن الجماعة الواجب على المسلم التزامها وعدم مفارقتها هي ذلك الكيان السياسي المنبثق عن الكيان الاجتماعي، ويتجلى ذلك الالتزام أولاً: في وجوب إبرام عقد اجتماعي مع الحاكم، وهذا مفاد «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» عقد قائم على التخير لا على الإذعان، ويتجلى ثانياً: في الوفاء بمتطلبات هذا العقد، كالتزام قوانين الدولة التي يسنها السلطان بحكم التفويض الذي تمتع به بعد إبرام العقد، وهذا جوهر مفهوم طاعة ولي الأمر الذي نسبت إليه الطاعة تارة، وإلى السلطان تارة أخرى، مع ما يتضمنه مفهوم السلطان من شمولية معنى الدولة، وذلك مع وجوب النصح للسلطان أو السلطة القائمة وإنكار منكرها وظلمها كلما وقع، وبعيداً عن منازعة الدولة صلاحياتها حتى لا تكون شؤون الناس فوضى تحكمها قوة القوي لا عدل الدولة، ولهذا جاء الهدي النبوي ناهياً عن منازعة الأمر أهله، الذين ائتمنوا عليه ولم يغتصبوه أو يتغلبوا عليه، ولهذا بحث آخر.

ويتجلى ذلك الالتزام ثالثاً: في حرمة نقض العقد والنكول عن العهد لمجرد ظهور الأثرة أو الشدة أو أي وصف يعكر صفو العدل ويخل بالإخلاص الواجب على الحاكم التمتع به، ففي مثل هذه الأحوال ينبغي على الناس الصبروإنكار المنكروحمل الحاكم بكل الوسائل الممكنة – في إطار العقد – على العودة إلى جادة الصواب والعدل، وحد هذا الصبر إخلال الحاكم بالعقد إخلالاً يفقده مشروعية التفويض الممنوح له بموجبه، فإن فارق دين المجتمع ولم يؤتمن على مرجعيته فحري به أن لا يؤتمن على مصالحه ولهذا جاء في الحديث النهي عن الخروج إلا في حالة الكفر البواح، وكذلك إذا فشا ظلمه وعم الناس بما يؤدي إلى تحويل الدولة إلى أداة استعباد وإضرار بعد أن كانت موئل العدل ومورد المصالح، ولهذا قال ابن تيمية: «إن الله لينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة»، وذكر الغزالي في الإحياء: «إن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته، وهو إما معزول أو واجب العزل ... وهو على التحقيق ليس بسلطان»

إذن، فجواز عزل السلطان في كلتا الحالتين السابقتين لا غبار عليه، أما وجوبه ومنابذة السلطان المفترض عزله بالسيف والقتال، أي خلعه بالقوة فله حديث آخر إن شاء الله.

فتاوى

دفع الزكاة حين يخصصها صاحبها للجيش الحر

بالنسبة لدفع الزكاة حين يخصصها صاحبها للجيش الحر، وهذه الزكاة تتبع صنف «في سبيل الله»:

١- هل يجوز أن يشترى بها وسائل اتصالات للأفراد، مثل فلاشات إنترنت أو لابتوب، والأفراد الذين سيستخدمون هذه الوسائل هم أفراد داعمون لعمل الجيش الحر، ليسوا من المقاتلين المسلحين، وسيستخدمون هذه الوسائل في التواصل والإعلام المساند لعمل المقاتلين؟

٢- ما حكم تفضيل اتجاهات على أخرى في الدعم، مثل الامتناع عن إيصال المساعدة لجهة بعينها مثلاً، لقناعة دافع المال، أو الداعمين أنها جهة تثير الفتنة؟

وجزاكم الله خيراً

أجاب فضيلة الشيخ الدكتور أحمد حوّى:

وعليكم السلام و رحمة الله و بركاته ..

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.. وبعد:

نعم هذه المخصصات تدخل تحت بند «في سبيل الله»، والمقصود به الجهاد وما يتصل به، وينبغي أن تراعى الأولويات وأن تصرف إلى جهات أمينة وفاعلة على الساحة.

وأما بالنسبة لشراء بعض لوازم الاتصال فهذا يقدّر بقدره، فإن مسّت الحاجة إليه للعمل الجهادي فلا مانع مع مراعاة الأولويات، بمعنى أنه قد تكون الحاجة أشد إلى شراء السلاح والذخيرة، فينبغي أن يقدر ذلك.

وأما بالنسبة لدعم بعض الجهات دون أخرى فالأمر فيه سعة ما لم يقيدك المتبرع، وفي هذه الحالة فيجب الصرف إلى جهات موثوقة وفاعلة على الساحة.

ولكن لا يجوز منع الدعم إن توفر أو فاض عن جهات فاعلة أخرى وهي مضطرة للدعم للعمل على الأرض،

ولكن إن قدّرنا أن بعض الجهات (دون تحديد جهة بعينها) قد تسيء التصرف بهذا الدعم أو لا توجهه الوجهة الصحيحة فلا مانع من حرمانها من هذا الدعم.. والله أعلم

علامة الشام عبد العزيز عيون السود

رحمه الله

بقلم : محمد عادل فارس

إنه من العلماء الربانيين ذوي الكرامات العالية. أليست «الاستقامة عين الكرامة»؟ أوَليس كل من يعرف الشيخ يشهد له بالتقوى والاستقامة؟ ألم يقل اللّه تعالى: [ألا إن أولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون] [يونس: ٦٢-٦٣].

وإننا نشهد فيما نعلم، ولا نزكي على اللّه أحداً، أن الشيخ عبد العزيز كان من أولياء اللّه.

ولد، رحمه اللّه، في مدينة حمص، في سورية، عام ١٩١٩م، من أسرة معروفة بالعلم والفضل تضمّ عدداً من علماء حمص.

فأبوه الشيخ محمد علي عيون السود، عالم فاضل حسن الأخلاق، كان يعمل مديراً للمدرسة الشرعية التابعة لوزارة الأوقاف.

وعمّه الشيخ عبد الغفار، له كتاب في تفسير بعض سور القرآن الكريم.

وقد امتاز الشيخ عبد العزيز رحمه اللّه بذكائه وقوة ذاكرته، حيث كان يحفظ الصحاح الستّة وحوالي ١٤٠٠٠ بيت من الشعر، وقد شغل منصب (أمين الفتوى) في دار الإفتاء بحمص. وكان على جانب عظيم من المعرفة بالقرآن الكريم وعلومه، والفقه والحديث وعلوم اللغة العربية.

لقد حظيت سورية، لا سيما في العقود العشرة الماضية، بعدد وافر من العلماء الذين جمعوا بين استقامة السلوك، والهيبة والوقار، والصدع بالحق، والتبحّر في علوم الشريعة، والتضلّع فيها، حتى إن الواحد منهم إذا سئل في أي علم من هذه العلوم كان كالبحر الزاخر... وكان حظ مدينة حمص وافراً من هؤلاء العلماء، وكان الشيخ عبد العزيز أحد هؤلاء العلماء الأعلام.

تلقّى العلم في دار العلوم الشرعية التابعة لوزارة الاوقاف ونال شهادتها عام ١٩٣٦م وكان من المتفوقين

فيها، كما أخذ العلم عن كبار علماء المدينة من حلقات العلم.
وكأن عمّه الشيخ عبد الغفّار كان ينظر بنور اللّه عزّ وجل، فقد تفرّس فيه أن يكون فذّاً بين أهل هذا العصر، وأن يحمل وراثة العلم والتقى.
وقد تحققت فراسة الشيخ عبد الغفار في هذا الفتى الذي أصبح علَماً في القراءات، يقصده العديد من المختصين في هذا المجال العلمي.
وقد ذُكر أنه كان كثيراً ما يرى الرسول صلى اللّه عليه وسلم في المنام ويُسجّل ما يراه في كراسة خاصة ويقول: إنه في إحدى المرات وضع الرسول صلى اللّه عليه وسلم لسانه في فمه ! فهل كان تقدمه من بركات هذه الرؤى؟!
وقد وُفِّق الشيخ عبد العزيز رحمه اللّه في علم القراءات وأُجيز في القراءات السبع في دمشق، وبعدها أُجيز في العشر عن طريق الشاطبية، وبعدها أجيز في العشر أيضاً من طريق طيبة النشر.

وقد زاره مرة أحد شيوخ القراء (النعيمي) ليبقى عنده ثلاثة أيام، فبقي عنده مدّة تزيد على أربعة أشهر، لما رأى من غزارة علمه وسَعَة أفقه في علم القراءات.
وله الفضل في تصحيح النطق بحكم الإخفاء الشفوي (وذلك بأن يبقى بعض الانفراج بين الشفتين في إخفاء الميم الساكنة عند الباء) وهذا الحكم يعرفه المختصون المتعمقون من علماء التجويد. لقد وَجد الشيخ في بعض كتب الأمهات في علم القراءات أن النطق بالإخفاء الشفوي ينبغي أن يكون مع ترك فرجة خفيفة بين الشفتين، وهذا على خلاف ما كان متداولاً بين القراء في الأعصُر الأخيرة. ووجد أن هذه الطريقة في النطق هي التي تنسجم مع المعنى اللغوي لكلمة «الإخفاء»، فإن القارئ إذا ترك الشفتين ملتصقتين عند إخفاء «حرف الميم الساكن» بـ«الباء» فإن الميم تظهر، فإذا جعل مع هذا النطق غنّة فقد جمع بين وصْفَي الإظهار والإخفاء، ولم يعطِ الإخفاء الشفوي حقه.
وإذا تذكرنا أن إخفاء النون الساكنة أمام الحروف التي ينبغي أن تُخفى عندها، يكون بترك فرجة بين مقدمة اللسان ومقدمة الحلق حتى لا تظهر النون، فكذلك ينبغي ترك فرجة بين الشفتين حتى لا تظهر الميم عند إخفائها.
حين اكتشف الشيخ هذه الطريقة

في الإخفاء الشفوي، واقتنع أنها الطريقة الصحيحة، ناقش فيها بعض أصدقائه العلماء، ثم سافر إلى الأزهر الشريف، وناقش علماء القراءات فيه وأقنعهم. ومنذ ذلك الحين يطبّق عدد من كبار القراء هذه الطريقة.
والشيخ فريد في علم القراءات، سواء على نطاق سورية أو العالم العربي، على الرغم من وجود الكثيرين من المجازين في هذا الباب، ولكن الجميع يُقرّون له بأنه فريد في النطق لا يوجد مثله.

وقد تلقّى رحمه اللّه تعالى، علم الفقه، بسند صحيح متصل بالإمام أبي حنيفة النعمان، ويُعد مرجعاً في الفقه الحنفي، فإذا اشتد الأمر يرجع إليه علماء البلد .
وهو معروف بدقّته العلمية ومرجعيته الفقهية وتقواه، وقد تخرّج العديد من تلاميذه على يديه ونالوا الإجازات في علم القراءات.
يمتاز الشيخ بهدوئه ورزانته وقد وصفه أحد العلماء (الشيخ محمد عوض) بقوله: كنا نراه يمشي في الطريق بخطواته الهادئة التي تدل على نفس مطمئنة، وتبعث العزّة في القلوب، فقد منحه اللّه تعالى مسحة من الهيبة والعزّة والوقار.
وكان الشيخ يحمل هَمَّ المسلمين ويتصل بالشباب، يشحذ هممهم وعزائمهم، ويثير عواطفهم، ويقول: إنني بذلت ما استطعت أن أبذل، وأضع التبعة عليكم، والمسؤولية في أعناقكم، فإن الإسلام في خطر، والمسلمون مشتتون، فاحملوا الأمانة واشعروا بالمسؤولية.
وهو إذ يجلس بين الشباب بروحه الشابّة، يتوكأ على ضعفه، ويتحامل على مرضه فيبثّ فيهم روح العزيمة والشغف بالعلم.

ويُعدّ رحمه اللّه تعالى ركناً من أركان العلم، جريئاً في الحق، سديداً في الرأي، مؤثّراً في الكلام. ومما يُذكر في حقه وفضله ومكانته أنه دخل على مجمع من العلماء ورجال السياسة في مصر برئاسة الشيخ عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر آنذاك، فما إن رآه الشيخ عبد الحليم حتى وقف له احتراماً وتقديراً، وتنحّى له عن رئاسة الجلسة، ثم أفاض على الجالسين من حديثه وعلمه مما رقّت له القلوب، ودمعت له العيون.
وله رحمه اللّه تعالى أصحاب كثيرون على مساحة العالم الإسلامي في

بغداد والمغرب ومصر وغيرها.
وكثيراً ما كان يتحدث رحمه الله عن الفتن في آخر الزمان. ومما يروي في ذلك من الأحاديث: «أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلّين. وإذا وضع السيف في أمتي لم يُرفع عنها إلى يوم القيامة. ولن تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تَعبُدَ قبائل من أمتي الأوثان... «وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلّهم يدّعون أنه نبي الله، وأنا خاتم النبيين.

«وما تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، وبهم يحصل الفرج العام، والفرح التام».
وصلته بأبناء الصحوة الإسلامية شباباً وعلماء صلة مودة واحترام وتوجيه وتقدير ومحبة. والكثير من شباب الصحوة كان يجتمع إليه ويأخذ من توجيهاته، ويستفيد من علمه، ويتخرّج في حلقاته، فكان لهم المعين والموجّه، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين خيراً.
وقد توفي رحمه الله في كانون الثاني من عام ١٩٧٩م عن عمر يُناهز الستين، وهو يصلّي قيام الليل حال السجود.
إنها الدنيا تنقل من العروش إلى النعوش، ومن القصور إلى القبور. ولكن شتان ما بين نَقْلةٌ ونقلة، ومرحلةٌ ومرحلة، وإنسان وإنسان.

وقد رثاه أحد تلاميذه بقوله:

بكى عليك البيانُ اليومَ والقلم
يا كامل الفضل والإرشاد يا علَمُ
بكت عليك عيونٌ دام مدمعها
دمعاً غزيراً فسال الدمع وهو دمُ
عبد العزيز عيونُ السود واأسفا
عليه مات التقى والعز والكرمُ

رحم الله الشيخ عبد العزيز رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

عمالقة الشمال

دعوة للقراءة

رواية عمالقة الشمال للكاتب الروائي المبدع نجيب الكيلاني

استطاع الأديب الراحل نجيب الكيلاني أن يقدم صورة للأدب الإسلامي المنشود، وأثبت أنه وثيق الصلة بواقع الحياة، ويقف شامخا في مواجهة الآداب الأخرى، ويرد علميًّا على الإبداعات التافهة، عبر حياة جادة كانت حافلة بالعطاءات الأدبية كما قال عنه العلامّة «أبو الحسن الندوي».

معروف عنه أنه الأديب الوحيد الذي خرج بالرواية خارج حدود بلده، وطاف بها ومعها بلدانا أخرى كثيرة، متفاعلا مع بيئاتها المختلفة، فكان مع ثوار نيجيريا في «عمالقة الشمال» وفى أثيوبيا في «الظل الأسود»، ودمشق في «دم لفطير صهيون»، و»على أسوار دمشق»، وفي فلسطين «عمر يظهر في القدس»، وإندونيسيا في «عذراء جاكرتا»، وتركستان في «ليالي تركستان» والتي تنبأ فيها بسقوط الشيوعية منذ أكثر من ثلاثين عاما. والأديب عامة إن لم يملك تلك القدرة على الاستشراف والتنبؤ بجوار الرؤية الفنية فلا خير في كثير من أعماله.

الرواية التي سنتناولها اليوم هي رواية «عمالقة الشمال» والتي تحدثت عن الصراع الدامي بين المسلمين والقوى المضادة الأخرى، التي حاولت التآمر لزعزعة الوجود الإسلامي في نيجيريا وتحطيمه، وقد قاد هذا التآمر بعض الدول الغربية المتغلغلة بنفوذها السياسي والاقتصادي والفكري في هذا البلد واستعانت هذه الدول بالحركة التنصيرية لتثبيت هذا النفوذ من خلال استغلال بشع للنصرانية.

وقد التزم المؤلف في روايته هذه التزاما دقيقا في عرضه للدقائق التاريخية لهذا الصراع بخلفياته وأسبابه.

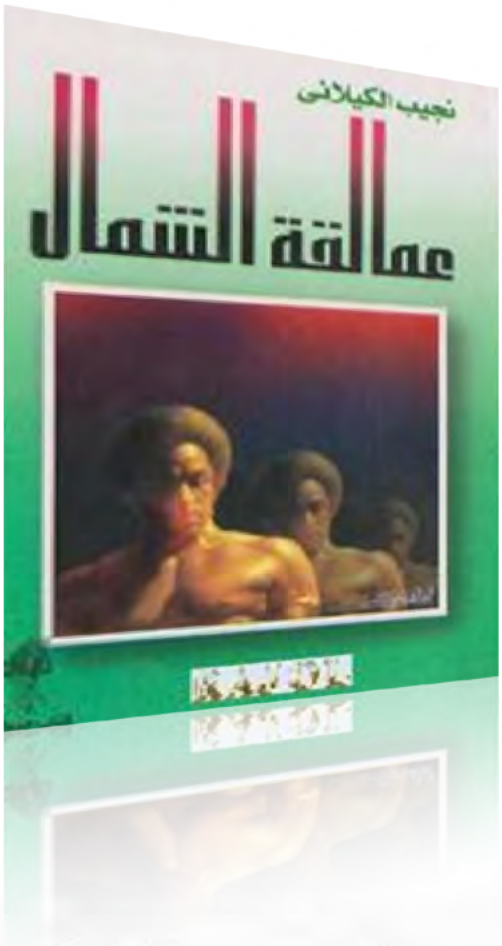

- أين أنت يا عبد الرحيم؟

وأخذت تجول في أنحاء إينوغو.. الناس يأكلون في سعادة، وكأنما انجاب عنهم همّ ثقيل وانزاحت عن كواهلهم أحزان طال بقاؤها، وأجراس الكنائس تدق، والمآذن ينطلق منها الصوت الحبيب «الله أكبر.. الله أكبر».

ووجدت عبد الرحيم خارجا من أحد المساجد الصغيرة، وغمغم: هل انتهينا؟

قلت وأنا أنظر صوب السماء الصافية التي يغمرها الضياء بعد الظهر: تلك هي البداية.

- إذا كانت هذه هي البداية يا عثمان أمينو، فكيف تكون المسيرة الحقيقية إذن؟

- ما أكثر ما يحتشد في الطريق من عقبات.. لك أن تسألني ما هو النصر الذي أريد؟ أجل.. أريد أن تضيء شعلة الإيمان قبل الألم الكبير، أن تهتف نيجيريا لله وحده، هذا هو السلام الحقيقي، والنصر الكامل الذي علمنيه محمد صلى الله عليه وسلم.. الإيمان. الحرية والخلاص والسعادة. حيث لا يستعبد بشر بشرا، وحيث تتحطم الأصنام الآدمية، وحيث يصبح الناس أخوة بمعنى الكلمة.

ومضينا في شتى الطرقات نبحث عن سعيدة.

إنها غارقة وسط الجرحى والدماء والآهات الملتاعة.. هتفت: سعيدة.

نظرت إليّ في عجل وقالت: لا وقت لدي الآن.

- لكني أريدك لأمر هام يا سعيدة.

- حياة هؤلاء أهم من أي شيء آخر.

شعرت بشيء من الخجل، لكنها عاجلتني قائلة: احمل هذا الرجل معي إلى ذلك المكان. إنه يحتاج إلى عملية بتر الآن.

كانت تتكلم وتشير إلى غرفة تبعد عنا حوالي عشرين مترا، ووجدتني أنهمك معها في العمل لبضع ساعات دون أن أشعر بمرور الوقت.. المأساة هنا: النظر، مجرد النظر إلى وجوه هؤلاء التعساء يجسم مأساة الحرب، ويجعل منها شيئا مروعا. والاستغاثات الضارعة تزرع في قلبي حزنا أبديا، والأيدي الشاحبة النحيلة الراعشة وهي تمتد إليّ في توسل، تفجّر من عيني الدموع، ذلك المشهد لن ينمحي من ذاكرتي طوال حياتي..

وقبيل منتصف الليل نظرت إليّ سعيدة بعينين يخالطهما النعاس، وتثاؤباتها تتوالى، وهمست في دهشة: ماذا تريد؟

- ألا تعرفين؟

- كل ما أعرفه أن لدي عملا هنا يستغرق حوالي الشهر.

- وبعدها؟

نظرت إلى وجهها يشرق بالسعادة: وبعدها يا عثمان انطلق في أي اتجاه، وستجدني وراءك.. حتى آخر الدنيا.

وأغمضت عينيها وهي تتكئ على منضدة خشبية معفرة، وقالت وهي في شبه حلم: سيكون كل شيء على ما يرام.. سيغني لنا عبد الرحيم أغنيته الحلوة، وسنقيم أفراحا تستمر أسبوعا في قريتنا الحبيبة..لقد وعدني الزعيم، كما وعدني أبي بأنهما سيباركان زواجنا.. عثمان، أيها الحبيب الغالي.

- سيكون أبناؤنا أسعد حالا منا، وسندعو إلى الله في كل بقعة تطؤها أقدامنا..

وحدة

قصة قصيرة

:: عبدالكريم اليماني

ليس هناك ما يفعله سوى المعتاد... قلّب نظره في أرجاء غرفته..

« لا بد من تغيير طلائها... لونها كئيب جداً... و يُشعرني بالملل...»
تسللت أصابعه نحو شعر رأسه و أخذ يهرش و هو يفكر بعمق..

« لا بد من تغيير بعض أثاثها أيضاً... مثل هذا السرير المهترئ... و حبذا لو كان هناك كرسي هزاز أيضاً !!»
اعتدل جالساً ثم ما لبِثَ أن وقف في منتصف الغرفة...

« لأكن واقعياً... فالانتقال إلى غيرها ليس بالأمر السهل!!»
وضع يديه خلف ظهره و راحت قدماه تخطان المكان جيئة و ذهابا... كان ضيق الغرفة يؤرق تفكيره جداً... توقف عن الحركة في منتصف الغرفة مرة أخرى... ثم خطى خطوتين تجاه الباب... فرد ذراعيه بشكل أفقي مستقيم ثم أخذ ينظر يمنة و يسرة...

« بإمكاني أن أضع خزانة صغيرة خلف الباب!! «
ألقى رأسه إلى الوراء و هوت يداه على جنبيه باستسلام ..

« و ما الداعي لها ؟؟.. لا أملك سوى ما أرتديه و بضع....»
توقف عن التفكير فجأة... طرقات نعال أحدهم تقترب من باب غرفته... نظر نحو الطاقة الصغيرة في أسفل الباب... امتدت يدٌ منها لتسحب طبقاً فارغاً و تضع طبقاً من الرز يعلوه رغيف صغير.

ريـــح الحـــريـــة

:: عمـــــر صـــوان

ريـح الحريـــة قـد وهبـــتْ
قلبي إصـــــــرارا مذ هبّتْ

فتمـــايـــل قلبـي منتشيـا
و تملكـــــه عـــزّ فثبـــتْ

والنفس سمت مذ أن سمعت
أصوات التكبيـــر انسابـــتْ

فلقـــد مزج الصـوت بروحـي
و الـــروح به قسمـا ذابـــتْ

هـــذا المعنـى فـي تجلـى
بـــمظاهـــرة لُبـي سلبـتْ

و كـأنـي بـالشبيـــح بـدا
كالفـأرة مـن صـوت هربـتْ

ما أجملـــــه من تكبيـــــر
فجمـــوع الكفـر به غلبـتْ

يـــــا رب فأيـــد إخوتنـــا
فقلوبهـــم لك قد غضبـتْ

هـــذا عمـــر يدعـــوك ألا
فأهـــن جبهـــة علـج كذبتْ

أعني بشـار الفســـد فـــي
أرض الاسـلام بـه كربـــتْ

يـــا رب أهنـــه وعصبتـــه
واقطع يده فلكم نهبـــتْ

وتعطـــف بالنصـــر علينـــا
فدما الاسلام لقد سكبـــتْ

facebook

زهير سالم (zoher.salm)

لصاحب الكلمة الصعبة مع الحب :

عندما يخوفك عدوك من شيء عليك أن تقطع الطريق عليه . خوفوا الإمام بن تيمية بالقتل ثم بالسجن فقال : قتلي شهادة . وسجني خلوة ..

لا أحد يحب الموت ولا أحد يفضل السجن ولكن للكلام غاية عظيمة يصدر عن نفوس عظيمة . إذا كان الخضوع هو ثمن الحرية فالسجن أولى وإذا كانت المذلة هي ثمن الحياة : فالموت ولا المذلة ...

أحمد سعود (ahmedsaud67)

العدالة الانتقالية ليست تخفيفا في الأحكام وتعايشا واندماجا وإصلاحا متدرّجا، و«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، فحسب!

العدالة الانتقالية هي أيضا: محاكمات ثورية ربما تعوقها «الدولة العميقة» لو أخذت طريقها الرسمي! وهي أحكام ميدانية، و«اقتلوه وإن رأيتموه متعلّقا بأستار الكعبة»!

د. عثمان مكانسي

ما بعد الظلام الفاحم والغسق الأسوَد إلا نور فجر يتسامى ...

اللهم نمد إليك قلوبنا قبل أيدينا ،

فكن لنا الضياء الذي يأخذ بأيدينا إلى رضاك ونصرك والجنّة.

سحبان مشوح

في ذكرى حريق المسجد الأقصى، أودّ أن أذكّر أنّ النّيران ما زالت مشتعلةً .. تأكل في جسد هذه الأمّة، لم تنطفئ يومًا، ولم يخبُ لها أوار.. وها هي اليوم تلتهم من أبنائها أكثر من ١٢٠٠ في غوطة دمشق، بعد أن حصدت قرابة ٣٠٠٠ في مصر قبل أسبوع واحد من الآن.. وليس في وارد الأيّام أن تستجيب لأمنيّات أبنائها .. ما داموا يسمحون لرعاة الرّيح أن يزجوها إلى معاقلهم!!

حسام ياسين (hosam.ghadban)

اللغة المحايدة انحياز عندما تكون الجريمة فادحة واضحة

#مجزرة_الغوطة

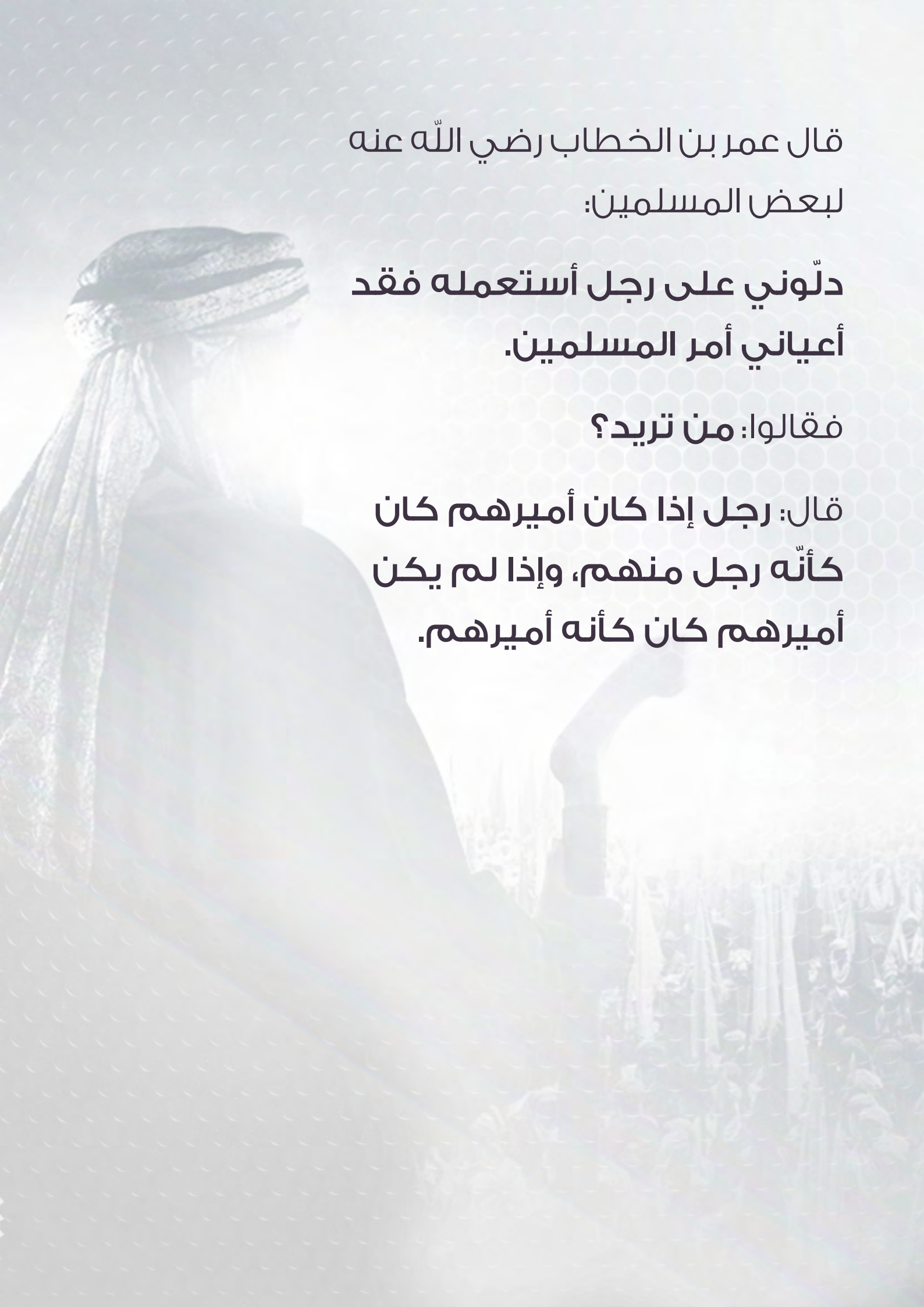

قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه لبعض المسلمين:

دلّوني على رجل أستعمله فقد أعياني أمر المسلمين.

فقالوا: **من تريد؟**

قال: **رجل إذا كان أميرهم كان كأنّه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم.**